

قراءة في (مجازات) الشاعر محمد أبو عبدالـ

الشعر يتمثل في مفردات لغة عادةً ما تمنع الفرق بين النصوص لدى جيل من الشعراء أو لدى نصوص شاعر ما؛ ترسم ملامحها لتبوح بشيء من جماليتها أمام المتلقي والنقد بتحليلات معينة؛ ولكن نسبي أغوار تلك التحليلات الشعرية لا بد من قراءتها بتأنٍ على فترات زمنية كي تكشف لنا عن ستارها بوضوح تام، ومن خلال متابعة متأنية لنصوص الشاعر محمد أبو عبدالـ العاشرائية والولائية في العموم، تجد أنه شاعر مختلف يفرد خارج السرب، ففي الوقت الذي يكتب فيه بعض الشعراء نصوصهم العاشرائية بلغة (جنائزية) استدرارًا للدمعة وطلبًا للأجر والثواب وحسب، فإن المتأمل في نصوص شاعرنا أبو عبدالـ يلمح فيها لغة خارجة عن المألوف، حيث يصوغ نصوصه الشعرية تلك سواء الخليلية منها أو التفعيلة بأساليب جاذبة وتجربة صادقة بعيدة عن التقليدية قريبة من الحدث، لغة وبالرغم من أنها لغة شفافة مهندسة ومدروسة إلا أنها مكتوبة في اللاؤعي الشاعري بوعي عاشورائي أنيق، وتتضمن تلك التجربة في سلسلة (مجازات) التي تعبر عن عمق ما لدى الشاعر من تجارب شعرية عالية المضامين محبوبة التراكيب، متعددة الأساليب الشعرية، متراصمة السبك، ذات وحدة عضوية تننزل على المتلقي كوفي شاعري متين، عميق الدلالة.

اقرأه هنا حين يصف خروج الإمام الحسين (ع) من مكة المكرمة:

ما حال (مكة) وهي تَجْهِمْ حلمَها في أول الفصلِ المغابِرِ
كيف بدَّلتَ الحكايةَ يا (حسين) وأنت تلمح صمتها عبثًا يحاولُ أن يرتبَ في ملامحها الوداع

كانت تهيئُ في محاصيل انتظارك جوعَها حتى استبدَّ بها جفافُ الوقت
لا يشكو ارتياحُ صميرها ظمآنَ المكان
ولا ترى في ضيقها إلا اتساعا

نا هيك عن عنونة القصائد التي تحتل مساحة في فكر الشاعر وتنبه عن قدرة لغوية؛ فشاعرنا أبو عبدالـ يوظف تلك المساحة بعنوانين منتقاه بعنایة جاذبة معبرة عن مضامين النص مختزلة له كأيقونات أدبية ملفتة، من مثل:

- انتظارُ جهةٍ مستحيل.

- سؤال دون أجوبة الدرب.
- سيرة تحتاج الحسين.
- مناجاة جهة مستحيلة.

وإلى جانب تلك السمات الآنفة فإن ما يميز تلك القصائد أنها لا تنفك عن ذات الشاعر إلا بالقدر الذي يسمح لها الضوء؛ لكي تنفذ كنوص شعرية إلى قلب المتلقي.

يقول في قصيدة سؤال دون أجوبة الدرب:

هدوءُ الركبِ يفتحُ لانتباهِيَّـ أنْ أُعِيدَ ملامحَ الأحداثِـ حتى لا يباعدَـني خيالُ الملهمين عن الحقيقةـ
فالحقيقةُـ في (الحسين)ـ أَجَلٌـ من عينِ المجازـ وإن تشا بهت الدوافعُـ والتفاصيلُـ الصغيرةُـ.

وحسبي أن يكون الحبُّـ مختلفاًـ إذا عبرَـ (الحسين)ـ على يقينيَـ مرةًـ
هي لحظةُـ ملأى الوذُـ بهاـ
وإن كانت قصيرةًـ.

إن لغة شاعرنا الشاعرية تلك سواء الفصحى منها أو المحكية هي نصوص ذات سور منيع، ولفتات وإضاءات محبوبة بذكاء متوازنة؛ فهي لم تسقط في شَرَكِـ (السردية)ـ المباشرة، ولم ترمـ بثقلها في أتونِـ (الخشوع)ـ المستهلك، إنها لفتات وإضاءات ممسوسة بالحداثة التي تسمح لها أن ترتفع عن اللغة العادية المتدولة، لغة سلسة سهلة لكنها ممتنعة في ذاتها.

تأمله في هذا النص المحكي المعنون بعنوان: (سيرة تحتاج الحسين):

جايز ابصدرك عمر رايد له باب
وجايز انت الما فهم مفتاحه

العمر أرقام يقولوا، مو صحيح؟
انت خلّي المستحيل اجناحه

لا تخلي الجاذبية اللي بهوالك

تحتكرها طيحة التفاحه

يمكن الفرصة اللي تحتاجك تروح
وانـت مـاخذ مشـهـاك اـبرـاحـه

إلى أن يقول:

قلّب أفكار الزمن واسأل (حبيب)
شلون كانت شبنته مرتاحه

تعرفه الجنة قبل يوم (الحسين)
وسيـرـتهـ اـبـصـبـةـ (علـيـ)ـ فـواـحـهـ

لكنـ الفـرـصـةـ اـنـتـهـازـ وـمـنـ تـرـوحـ
قطـعـةـ مـنـ روـحـكـ تـطـلـ مـنـزـاحـهـ

وبالرغم من كون القصائد عاشورائية إلا أن الشاعر استطاع النفاد إلى عوالم الحياة الأخرى المبللة بندى الحسين عليه السلام وعالمه العاشورائي.

وثمة نزعة نحو الحكمـةـ تتـلـمـسـهاـ أـثـنـاءـ قـرـاءـتكـ تـلـكـ النـصـوصـ،ـ أـجـلـ هيـ حـكـمـةـ عـالـيـةـ المـضـامـينـ،ـ لـكـنـهاـ غـيرـ مـباـشـرـةـ بلـ هيـ نـتـاجـ طـبـعـيـ لـمـاـ يـتـراـكـمـ لـدـىـ الشـاعـرـ مـنـ قـرـاءـاتـ وـتـجـارـبـ يـسـجـلـهـاـ بـعـفـوـيـةـ ثـمـ يـشـعـرـنـهاـ بـالـقـدـرـ الـذـيـ يـسـمـوـ بـالـنـصـ الـمـشـبـعـ بـالـشـاعـرـيـ،ـ الـغـنـيـ بـالـتـجـربـةـ؛ـ لـاـ غـرـوـ إـنـ لـدـىـ شـاعـرـنـاـ الـقـدـرـ عـلـىـ اـسـتـشـعـارـ الـحـدـثـ بـحـيثـ يـشـعـرـنـ التـارـيخـ لـيـوـظـفـهـ لـصـالـحـ الـقـصـيـدةــ.

الأمر الملفت كذلك هو رصيد شاعرنا اللغوي، فهو يمتلك رصيداً ثرياً، كما أن ومعجمه البلاغي طاغٍ بالمفردات التي تسعفه بتلقائية متى ما استدعاها، حيث أنه ينطلق من فكرة محددة تكون هي محور القصيدة؛ ولكنَّه يقدم قراءة جديدة للحدث من خلال نصه الشعري.

أما المجاز الذي هو مبعثر في نصوصه فإنها انزيادات متناثرة بعنایة موجودة بقدر غير مفرط في نصوصه، تغلف المعانٰي بخلافها الجَمَالي الذي يجذب عيون المتلقي.

يقول في قصيدة: (مناجاة جهة مستحيلة):

معانا الكتابة أن تعير الطلال فراغها رئة
وقلبا

فكيف إذا أراد الشعر حطاً
يقلّدُه من (العباس) قُرباً

كأن المستحيل الحي فيه عصيٌّ الوصف
يوقظُ فيك ذنباً

ولا ذنبٌ سوى لغةٍ أرادت محاصرة المجرة وهي تعنى

(أبو الفضل) المجرة،
من بعيدٍ تراه
ولا تطال إليه درباً

يقول الحب:
حطّي حين نالت محاولتي - من العباس - حبّاً

وما أنا غيرُ حرفين
استغلا ثباتَ حضوره وحيماً
وغيماً

فإن حاولت
لي شرفٌ ،
 وإن لم أجدني فيه ،
لي شرفٌ ..
وعقبى

إن شاعرنا أبو عبدالـ شاعر مطبوع ذو قدرة على صنع لافتات شاعرية ملفتة، وإضاءات شعرية مضيئة، تُنبئ عن مقدرة شاعرية عجيبة، تحوي إشارات بلية صاربة في العمق الشعري الملهم النتاج لدى المتلقي. فهو قناص للفكرة، لماح في عرض ما من شأنه إبقاء المتلقي يحتسي شاي النص لآخر قطرة منه.

وإن نصوص شاعرنا أبو عبدالـ العاشرائية تلك تستحق الصوء والإشادة؛ لكثافتها الشعرية والشاعرية؛ حتى أني أجزم بأنها تتجاوز الطاهرة العامة لتدخل ضمن دائرة كونها رؤية شعرية خاصة تدخل تركيباتها في تكوين قامة شاعرية ذات ملامح شعرية متفردة يعزف شاعرنا أبو عبدالـ من خلالها على وتر قوا فيها عزفًا منفردًا مكونًا منها لوحاتٍ شعرية ربما مثلت يومًا مدرسة

وإحال أن هذا الشاعر القادر على إمتاعنا برؤاه الشعرية التي سجلها عبر نصوص بهذه النصوص فهو - لا ريب - قادر على أن يوصل تجربته تلك إلى العالمية وربما عالميًّا؛ نظرًا لما يمتلك من أدوات شعرية تسعف مشروعه للوصول للآخر، وذلك بتكتيف المصور المفصلي في القضية الحسينية وسائر القصايا التي يؤمن بها إيمانًا يطغى على الأنما الذاتية والجمعيَّة تلك التي تلوح له في أفق الشعر فيقتتنص منها ما يمكنه من مخاطبة الآخر بلغة تتماهى والإنسانية، بحيث يصوغها بلغته المتمردة على التقليدية الناهضة بالقيمة الأدبية المؤمنة بذاته المجنحة بقوا في قصائده.

دعوة مغلقة بهمسة ..

وهذه دعوة للشاعر أبو عبدالـ أهمس بحروفها في أُذُنِ أُذَيْنِ قلبه بأن يرفع مستوى كثافة المعنى في نصوصه؛ وذلك بزيادة تركيز الجرعة الشاعرية والشعرية في نقطة محور الموضوع الشعري؛ حتى لا يتشتت ضوء المعنى ويتطاير رذاذه المسلط فيتخفف رجيع صدى ذلك المعنى المراد، وتنحصر موجة انهماره؛ وهذا بدوره سيزيد من رفع خصوبة التربة الشعورية والشاعرية لدى الشاعر، فتعانق زهارات قوا فيه الحياة بكل تجلياتها ف تكون جزءًا لا يتجزأ منه، وهو جزءًا لا يتجزأ منها